الحجاج في قصيدة أَميّة بن أَبي الصلت "غذوتك مولوداً"

الدكتورة: منار العيسى

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة البعث

ملخص البحث

أثبت الحجاج نفسه أداةً فاعلةً في تحليل أنواعٍ مختلفةٍ من الخطابات ونستطيع أن نجد بعض كتب وأبحاث درست جانباً منه في الأدب الجاهلي شعره ونثره وفي غيره من آداب العصور المختلفة.

سيحاول هذا البحث أن يقرأ قصيدة (غذوتك مولوداً) لأميّة بن أبي الصلت من وجهة النظر الحجاجية منطلقين من فكرة أن أي خطاب حجاجي يسعى إلى إيجاد موقف إيجابي أو سلبي من قضية معينة، لذلك سنقف على بواعث النزعة الحجاجية في أبيات أمية المُثْقلة بالعتاب، الغنية بالدروس والقيم الأخلاقية والأدبية، وندرس أقوال العملية الحجاجية والآليات اللغوية المستخدمة ونكشف عن مدى قيامها بمتطلبات الحجاج.

الكلمات المفتاحية: الحجاج– العتاب– النزعة الحجاجية– الآليات اللغوية .

Abstract

Argumentation has proven itself to be an effective tool in analyzing different types of discourse. We can find some books and researches that studied part of it in pre-Islamic literature, its poetry and prose, and in other literatures of different ages.

This research will attempt to read Omayah Bin Abu Al Sults' poem "I feed you as anew born" from the argumentative point of view, based on the idea that any dialectical discourse seeks to find a positive or negative position on a particular issue.

Therefore, we will stand on the motives of the dialectical view in Omayahs' poem burdened with blame, rich in lessons and moral and ethical values.

We study the argumentative statements and the linguistic mechanisms used, and we reveal the extent to which they fulfill the requirements of the argument.

Key words: Argumentation-Admonition Argumentation tendency-Linguistic mechanisms.

أهمية البحث:

تتأتى أهمية هذا البحث من كونه يقارب نصاً شعرياً مقاربة حجاجية وهذا يؤدي بدوره إلى الكشف عن الاتجاه الفكري أو النفسي للمحاجج ويسعى للكشف عن إمكانات اللغة الحجاجية وما تفصح عنه من تفسيرات ترتبط بشخصية الوالد المعاتب مما يؤدي إلى تحقيق قراءة حجاجية صحيحة لهذا النص.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة الصلة بين هذه القصيدة والحجاج؛ لأن قصيدة أمية تمثّل تجربة وجدانية تعكس معاناة إنسانية لذلك عمد الشاعر إلى تقنيات الحجاج ليعبّر عن شرعيتها.

وتهدف إلى الكشف عن الموجهات الحجاجية في هذه القصيدة وطريقة توظيف بعض الآليات الحجاجية.

وتهدف إلى الكشف عن شكل الحجاج من خلال دراسة عناصر العملية الحجاجية.

مشكلة البحث ومنهجه:

تحاول هذه الدراسة البحث في العلاقة بين حاجة الشاعر (المحاجج) للحجاج وبين حجم وجود الموجهات الحجاجية في هذه القصيدة، وتحاول الكشف عن مدى ارتباط طريقة الحجاج بشخصية أمية وبظروف حياته وباستخدامه تقنيات حجاجية معينة لعرض أفكاره وآرائه.

أما منهج البحث الذي اتبعته فهو منهج تحليلي يستند إلى معطيات التداولية من حيث إن الحجاج فرع منها.

الحجاج:

الحجاج لغة: قال الخليل بن أحمد الفراهيدي "الحُجّة: وَجْه الظَّفرَ عند الخصومة، والفعل حاجَجْته فَحَجَجْتُهُ، واحتَجَجْتُ عليه كذا، وجمع الحُجَّة: حُجَج، والحجاج."[1]

وقال الأزهري في تسميتها حُجّة: "وإنّما سُمّيت حُجّة لأنها تُحجَ أي تُقْصَد، لأن القصدَ لها وإليها، وكذلك مَحَجَّةُ الطريق هي المقصد والمسلك."[2]

وابن فارس في مقاييس اللغة يقول: "يُقال: حاجَجْتُ فلاناً فَحَجَجْتهُ أي غَلَبْتُهُ بالحُجَّة وذلك الظَّفَرَ يكون عند الخصومة، والجمع حُجَجٌ، والمصدر: الحجاج."[3]

وابن منظور يجعل الحجاج مرادفاً للجدل.[4]

أما اصطلاحاً: فهو ظاهرة فكرية أو معرفية لها تاريخ في الفكر العربي القديم، إذ نجده ظاهراً في مصنّفات العلماء العرب القدامى وإن كان بمسميات مختلفة كالبيان والجدل والاحتجاج، فالجاحظ مثلاً أفرد لبلاغة الخطابة صفحات طويلة في (البيان والتبيين) إذ عاش في عصر كَثُرت فيه المذاهب والفِرق وتعددت مشارب الناس ونحِلَهُم وكَثُرت الثقافات واللغات، فكان ذلك سبباً في ظهور معالم الحجاج في أدبه، إذ نرى في كتابه السابق اهتمامه بأركان الخطابة الثلاثة: المتكلم أو الخطيب والمخاطب أو الجمهور والخطاب أو الخطبة، وقد جاء هذا الاهتمام رغبة في تحقيق الإفهام أو الإقناع.[5]

---

[1] العين، أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، تح: د.جهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم، إيران، الجزء 3، ص 10، 1405هـ، مادة حجج.

[2] تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تح: عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية للطباعة، مصر، د.ط، الجزء 3، ص، 251، 1964، مادة حجج

[3] مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تح: عبد السلام هارون، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الجزء 2، ص 30، 2002، مادة حجج.

[4] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط2، 1992، مادة حجج.

[5] ينظر البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، الجزء 1، ص 76.

تابعه ابن وَهْب الكاتب في كتابه (البرهان في وجوه البيان) وجعل أقسام البيان أربعة: الاعتبار والاعتقاد والعبارة والكتاب.[1]

وكذلك فعل حازم القرطاجني الذي جعل التخييل أساس صناعة الشعر، والإقناع أساس صناعة الخطابة.[2]

وكذلك كان حاضراً في الفكر العربي الحديث ويعد كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) مصدراً لكل باحث يريد التعرّف على الحجاج ومظاهره وطبيعته.

أما الفكر الغربي فنجده عند أفلاطون الذي أفرد لمواجهة الممارسة الحجاجية السفسطائية محاورتين هما (قرجياس) و(فيدر) واعتمد في نقده استراتيجية سمّاها هشام الرّبعي استراتيجية الكشف.[3]

وعند أرسطو الذي يعدّ أهم تلاميذ أفلاطون نجد البلاغة تقنية حجاجية لما هو قابل للصواب وليس للحقيقة[4]، ونجد الحجج عنده قسمين: حجج فنية وحجج غير فنية[5].

ونجده يفرّق أيضاً بين نوعين من الحجاج هما: الحجاج الجدلي والحجاج الخطبي[6].

ثم شهد الدرس الحجاجي إهمالاً وتراجعاً لعل سببه ارتباط الحجاج الخطابي بالمغالطة والخداع والإيهام[7] في عهد الإمبراطورية الرومانية ليعود ويصبح تياراً فاعلاً في مختلف

[1] ينظر البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، د.ط، د.ت، ص 65.

[2] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1986، ص 62.

[3] الحجاج عند أرسطو، هشام اليفي، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ط، د.ت، ص 62.

[4] تاريخ نظريات الحجاج: فيليب بروتون، جيل جوتييه، ترجمة: :د.محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 2011، ص 28.

[5] النقد الأدبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1997، ص 99.

[6] الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، ص 132.

[7] الحجاج في الشعر العربي-بنيته وأساليبه- د.الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011، ص 19.

المجالات على أيدي العديد من الدارسين منهم شايم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتيكا في كتابهما المشترك (مصنّف في الحجاج – الخطابة الجديدة) الذي صدر عام 1958، حيث يجعلان الغاية من الحجاج "أن تجعل العقول تُذعن لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وُفّق في جعل حدّة الإذعان تَقوّي درجتُها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وُفّق على الأقل في جعل السامعين مُهيّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة".[1]

العتاب:

إذا ما حاولنا أن نتلمّس إرهاصات هذا الغرض في الشعر الجاهلي فإننا نجد أنه كان غرضاً غير واضح المعالم فأبو تمام الذي يعدّ أقدم من حاولوا تقسيم الشعر العربي جاهلياً وغير جاهلي إلى موضوعات ألّف فيها ديواناً نظمه في عشرة موضوعات هي: الحماسة، والمراثي والأدب، والنسيب، والهجاء، والأضياف ومعهم المديح، والصفات والسير والنعاس والملح ومذمة النساء وهي موضوعات يتداخل بعضها في بعض فالحديث عن الأضياف إما يدخل في المديح أو في الحماسة والفخر والسّير والنعاس يدخلان في الصفات، كما تدخل مذمة الناس في الهجاء، أما الملح فغير واضح الدلالة".[2]

وجاء في باب الأدب بما يدل على أنه يقصد به المعنى التهذيبي، غير أنه أنشد فيه أبياتاً في وصف الخمر وأغفل إغفالاً تاماً باب العتاب والاعتذار.

[1] مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة (لبرلمان وتيتيكا)، د. عبدالله صولة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 298.

[2] تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف مصر، د.ط، د.ت، ص 195.

وإذا ما قرأنا الشعر الجاهلي فإننا لا نجد أشعاراً كثيرة تتحدث عن هذا الغرض، ولكننا نلمحه في ملامة بعض الشعراء لما قد يصيبه من أذى الأقارب كعتاب ذي الإصبع العدواني لابن عمه وكان على خلاف معه.[1]

وفي بعض أشعار المتلمس[2].

وبتقصي معنى كلمة عتاب فإننا نجد: "العَتَب: المَوْجدة، عَتَب عليه يَعْتِبُ ويعتُب عَتْباً وعِتَاباً ومَعْتَبة ومعْتِبة ومَعْتَباً أي وَجَد عليه، وقال الأزهري: لم أسمع العتب والعتبان والعتاب بمعنى الإعتاب إنما العتب والعتبان لومُك الرجل على إساءة كانت له إليك فاسْتَعْتَبَه منها، وكلّ واحد من اللفظين يخلُصُ للعاتب فإذا اشتركا في ذلك وذكّر كل واحد منهما صاحبه ما فَرَط منه إليه من الإساءة فهو العتاب. والمُعاتبة والاستعتاب: طلبُك إلى المسيء الرجوعَ عن إساءته.[3]

العتاب إذن غرض شعري يختلف عن غيره من الموضوعات الشعرية و(يطلق على فساد العلاقة بين طرفين فيحدث العتب لدى العاتب، فيلوم الطرف الذي أساء المودة آملاً بالاعتاب أو العتبى (رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب)".[4]

أمية بن أبي الصلت:

هو أمية بن أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقيف بن مُنَبَّه بن بكر بن هوازن أبو عثمان، ويقال أبو الحكم الثقفي شاعر جاهلي قَدِم دمشق قبل الإسلام.[5]

[1] المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط 6، 2012، قصيدة رقم 29، 31.

[22] الأصمعيات، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي أبو سعيد، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف مصر، د.ط، 2009، قصيدة رقم 92.

[3] تهذيب اللغة، مادة (عتب).

[4] العتاب والشكوى في قصائد علي بن الجهم، حازم برهام مصطفى، مجلة كلية الآداب، 2015، العدد 111، جامعة بغداد، العراق، ص 94.

[5] البداية والنهاية، ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي، دار الفكر، ج2، 1986، ص 220.

وقيل إنه "اشتهر بالحنفية وكان متصلاً في الجاهلية بأهل الكتاب يسمع أخبارهم وكتبهم ويتصل بمن يكفر بالأصنام من العرب ويبحث عن التوحيد"[1].

عايش أمية بن أبي الصلت ظهور دعوة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد جاءت الأخبار أنه التقاه وتحاور معه وسمع منه القرآن لكنه أبى أن يسلم.

ويقول ابن دريد: "كان بعض العلماء يقول لولا النبي (صلى الله عليه وسلم) لادّعت ثقيف أن أمية نبي لأنه قد دارس النصارى وقرأ معهم ودارس اليهود"[2]

ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً وصحّ أنه عاش حتى رثى أهل بدر وقيل: إنه الذي نزل فيه قوله تعالى {الذي آتيناه آياتنا فانسلخ عنها}[3]، وقيل إنه مات سنة 9هـ بالطائف كافراً قبل أن يسلم الثقفيون.[4]

تغلب على شعره صورة شعر الحكماء ويرى صاحب الديوان: "إن الحكمة لم تكن من طبعه وسجيته وإنما تلقف بعضها عمن كان يلقاهم في رحلاته التجارية، أو عن تعليم الأسفار الإسرائيلية والكهان، فيصوغها مغرباً في ألفاظها وتراكيبها وعباراتها، ذاهباً مذهب الضخامة والتهويل، فتأتي سمجة متكلفة في تركيب غليظ لا تسيفه النفس"[5]

وهو أيضاً يرى أن شاعريته اللطيفة تبدو في ما نظمه لأغراضه الخاصة[6] كالقصيدة التي سنتناولها بالتحليل من وجهة النظر الحجاجية، وهي قصيدة ذات أبعاد إنسانية سامية تفصح عن المشاعر الأبوية التي تفيض رقة وعذوبة في معاتبة الابن عندما يدفعه شبابه الربيعي إلى عقوق أبيه الشيخ فما كان من الأب إلا أن يمسك بحكمة

[1] طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تح: محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، 1998، الجزء1، ص 259.

[22] الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991، ص 303.

[3] الأعراف 175.

[4] الإصابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد أبو الموجود وعلي محمد معوض، ط 1، 1415هـ، ج 1، ص 71.

[5] ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق: بشير يموت، المطبعة الوطنية، بيروت، ط 1، 1934، ص 9.

[6] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 9.

العقل ويقرن همته بحنكة التجارب ويبوح بخفايا نفسه وتملأ مشاعره همة الماضي فيأخذ بيد الرفق يد ابنه العبثية التي لا تحترم المشاعر الإنسانية الفياضة، وتبلغ القصيدة أربعة عشر بيتاً.

العتبات الحجاجية في قصيدة أمية:

العتبة الأولى:

وتمتد من البيت الأول إلى البيت الرابع وهي وصف عطاء الشاعر لولده:

غَذَوتُكَ مولوداً وعُلْتُكَ يافعاً تُعَلُّ بما أدني عليك وتَنْهل[1]

بدأ الشاعر بذكر عهده القديم لابنه حيث يدرك أن الابن لو تمثّل ذلك في الزمن الذي أمضاه إلى جانب أبيه لما جاء هذا اليوم ليعقّه، ولذلك يحاول الشاعر أن يمسح ضباب الأيام وحجاب السنين عن مهجة ابنه، ليتمثّل ذلك الماضي البعيد ويعرف مدى شقاء الأب في رعاية أبنائه.

لقد وفّر الشاعر جميع احتياجات ولده ومتطلباته حتى كبر وأصبح شاباً، ولعل ما ساعده في جعل هذا الوصف أكثر إقناعاً:

1-انتقاء المفردات ذات الطاقة الحجاجية العالية (غذوتك، علتك، أدني، تنهل) وليوضّح هذا العطاء أكثر.

2-استعان بحجاجية الاستعارة (تنهل) التي تسهم في الإقناع وجمالية الخطاب؛ فالشاعر في البيت السابق يشبّه نفسه بالمورد (النهر) الذي يُنهل منه فحذف المشبه به النهر وأبقى ما يدل عليه (ينهل) وما يعزز هذه الحجة استعمال الشاعر للفعل (ينهل) الذي يدل على الارتواء والشرب حتى الشبع إذ بقي هذا الولد ينهل من عطاء والده

[1] ديوان أمية بن أبيالصلت، ص 45.
تعلّ: من العلل وهو الشربة الثانية، تنهل: من النهل وهو أول الشرب.

الذي لا ينضب حتى وصل إلى مرحلة الشباب، ولا شك في أن هذه الاستعارة كانت أكثر بلاغة لأن "الأقوال الاستعارية ذات طاقة حجاجية أكبر بكثير من الأقوال المباشرة"[1].

3-اعتمد الشاعر في هذا البيت أيضاً على تقنية حجاجية متوازية بين المتضادات وهي الطباق بين (مولوداً ويافعاً) ليختصر السنين اختصاراً جمالياً فهو قد رعاه مولوداً وأعاله شاباً.

ولا يكتفي شاعرنا بوصف عطائه المادي وإنما يبادر إلى رفع مستوى احتجاجه فيصف عطاءه المعنوي مستعملاً:

1-علاقة الاقتضاء التي يوفرها أسلوب الشرط

إذا ليلةٌ نابَتْكَ بالشَكو لم أَبِتْ لشكواكَ إلا ساهِراً أَتَمَلمَلُ[2]

ويعد أسلوب الشرط من أهم الآليات الحجاجية وله قدرته البلاغية في إظهار الحجج، وقد استخدم أداة الشرط (إذا) لأنها تفيد الجزم في المعنى، فالشاعر يجزم بقاءه مع ابنه في حال شكواه ومرضه و(إذا) في النحو ظرف لما يستقبل من الزمان والشاعر هنا يذكّر ابنه بما حدث في الماضي ولكنه استخدم أداة تدل على المستقبل ليوضّح لنا استمرارية اهتمامه بابنه فهذه حال الأب الحنون ومما يؤيد هذا الكلام قوله (لم أبت) ولم تفِد أيضاً نفي الفعل المضارع فهو ينفي عدم بقائه بجانبه مكرراً المعنى ذاته بصياغة أخرى ليؤكد خوفه على ابنه واهتمامه به.

2-واستخدم أداة الحصر (إلا) للتأكيد على سهره مراعاة لابنه واهتمامه به.

[1] الحجاج في الشعر العربي-بنيته وأساليبه، ص 253.
[2] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 45.
نابت: أصابت، تململ الرجل: تقلّب.

3–ونجد أيضاً في هذا البيت جناساً (الشكو–شكواك) وهو"أحد الآليات البلاغية التي تزيد من جمالية الخطاب من ناحية وتفيد التأثير من ناحية أخرى، حيث يجتاز المخاطب الوضع المناسب لاستعمال الجناس لاستمالة نفس المخاطب حتى يتغلغل المعنى في ذاته دون شعور منه، ومن ثم يحصل الإقناع".[1]

لقد أفرغ الشاعر في البيت السابق كل مشاعر الأب الحدب الحنون تجاه ابنه، فإذا ما أسقم جسده واعتراه ألمٌ، فإنه يلاقي أباه لديه، يبيت عنده وكأنه لشدة همه وحزنه على ابنه هو العليل الذي يسهر طوال الليل لمراعاة ابنه والعناية به.

وباستخدام الشاعر لكلمة (ساهر) أطلق العنان لخيال المتلقي في تصوّر الأب الساهر وما يعتريه من احمرار عينين وشحوب وجه واصفرار، وربما يسمع المتلقي زفرات الأب تتصاعد رويداً رويداً في سكون ذلك الليل ويسمع ضجيجه بالدعاء والابتهال كي يُشفى هذا الولد من مرضه، ثم يستخدم مفردة ذات طاقة حجاجية عالية (أتململ) ليظهر مدى القلق وعدم الاستقرار في ذلك الليل ثم يتابع فيصف نفسه القلقة الجازعة على ابنه وكأنه هو السقم الذي هدّ المرض أوصاله ونقل نفسه من هدوئها إلى تحركها القلق مضيفاً إظهار بكائه حزناً عليه.

ثم يقول:

كأنّي أنا المطروقُ دونَكَ بالذي طُرِقَت به دوني وعينيَ تَهمُلُ[2]

يعاود الشاعر استخدام مفردات ذات طاقة حجاجية عالية (المطروق، عيني، تهمل) تظهر مدى تعلّق الأب بابنه وتظهر أيضاً المفارقة التامة بين شعورين، أب عليل لعلّة ابنه، وابن عاق لأبيه، أبٌ يريد الحياة لابنه، وابن لا يعنيه من أمر والده شيئاً، هذه المفارقة تستأثر بمشاعر المتلقي وتعيده إلى مبادئ الإنسانية الأولى التي عمر بها هذا

[1] شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2011، ص 325.
[2] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 45.
المطروق: مفعول من طرَقَه إذا أتاه ليلاً، تهمل: تفيض بالدمع وتسيل.

الوجود وما بكاء الأب وخوفه إلا لأنه قلق على حياة ابنه ووجوده مع إيمانه بأن الموت حتم على كل إنسان.

تخافُ الرَّدى نفسي عليكَ وإنَّها لتعلَمُ أنَّ الموتَ حَتْمٌ مُؤَجَلُّ[1]

يعمد الشاعر هنا إلى استخدام المؤكدات {إن، اللام (لتعلم)} واستخدام أكثر من أداة ربط سببي يعود إلى أن ابنه منكرٌ عناية والده به ومعتقدٌ خلاف ذلك من حرص الأب على راحته والعناية به.

فالشاعر في البيت السابق يعتمد حجة التبرير فهو يبرر لولده خوفه عليه من الموت وما ذلك إلا لمحبته وأبوته الصادقة.

-الغاية من العتبة الحجاجية الأولى في هذه القصيدة والتي شملت الأبيات الأربعة الأولى محاولة الشاعر إقناع ولده بتغيير سلوكه معه وبرّه والحرص على رضاه بتذكيره بطفولته وما بذله من جهد في تنشئته وتربيته.

العتبة الثانية:

وتمتد من البيت الرابع إلى آخر القصيدة.

بعد أن أفرغ شاعرنا في الأبيات الأربعة الأولى عواطفه ومحبته لابنه ينتقل في هذه العتبة إلى خطاب ولده العاق الذي بلغ السن التي يعتمد فيها على نفسه ولكنه ما إن وصل إليها حتى جفا والده وازورّ عنه مظهراً عقوقه

فلمّا بلغْتَ السِّنَ والغايَةَ التي إليها ما كُنْتُ فيكَ أُؤَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزائي منك غِلظةً وفظاظَةً كأنَّكَ أنتَ المُنعِمُ المُتَفَضِّلُ[2]

[1] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 45.
الحتم: القضاء، مؤجّل: الذي حدد أجله أي مدته.
[2] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 45.

ما نراه في البيتين السابقين محاولة الشاعر أن يقارن بين معاملته لابنه ومعاملة ابنه له من خلال ما يعرف **بحجة المقارنة** وهي "حجة تنشأ من اجتماع النموذج والنموذج المضاد في خطاب واحد".[1]

وقد انتقل إلى هذه الحجة من خلال أداة الربط الحجاجي (الفاء) –فلما–معتمداً أسلوب الشرط شرط يقوم على أداة وفعل شرط وجوابه.

فالفاء أفادت ترتيب حجته في خطابه ووضحت انكسار الأحلام وتفاضل القلوب وخيبة الأمل، وما أقساها؟! فعندما بلغ هذا الشاب الغاية والسن التي كان يحلم الأب أن يلقاه بها قَلَب له ظهر المجن وأصبح جزاؤه الجفوة والغلظة وكأنه هو المتفضّل على أبيه.

مفردات حجاجية محمّلة بالحزن والمرارة والخيبة نراها في الأبيات السابقة (فظاظة، غلظة) الابن العاق لا يحترم فضل الأبوّة ولا يفكر إلا في نفسه ولا يرعى حرقة أبيه، كل هذا يتوضح من خلال استعمال الشاعر **لحجة التناقض وعدم الاتفاق** وهي من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية وتوضح "اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب"[2] تناقض بين معاملة الوالد التي كانت تقوم على الاهتمام والعطاء، ومعاملة الولد العاق الذي أنكر فضل والده وعامله بفظاظة وغلظة، ويعزز شاعرنا حجته من الأبيات السابقة باعتماد حجة تقوم على التهكم والسخرية مستعملاً أداة التشبيه (كأنك) حيث يسخر منه ويجعله هو الذي أنعم على والده.

ويتابع حجته مستعملاً أيضاً الرابط الحجاجي (الفاء) بربط حجته بعضها ببعض على الترتيب:

فَليتكَ إذْ لم ترْعَ حَقَّ أُبوَتي فعلتَ كما الجارُ المجاورُ يَفْعَلُ[3]

[1] الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، ص 248.
[2] ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبَنَّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط 6، 2002، ص 166.
[3] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 46.

مستعملاً أسلوب الإنشاء الطلبي المعتمد على التمني (فليتك) وتضطلع الأساليب الإنشائية بدور بالغ الأهمية في الحجاج إذ تثير عواطف المتلقي لأنها تجعله يتمعّن في القول ويحلله في ذهنه ليكشف قصد المحتج.

من خلال التمني يوجّه شاعرنا مطالبه بشكل مباشر وصريح فهو يطلب من ابنه العاق أن يعامله معاملة (الجار المجاور) الذي يحترم جاره ويقف إلى جانبه من دون أن يهين كرامته أو يقلل من قيمته.

نجد في البيت السابق:

1-حججاً تقوم على القيم: كقيمة البر بالوالدين، والإحسان إلى الجار، وهذا ما نشأ عليه مجتمع الشاعر وعرف به.

2-جناساً بين الجار والمجاور، فالنفس عادة تستحسن المكرر من الكلام فكيف إذا كان صادراً من أب مصدوم بعقوق ابنه وسوء معاملته.

ثم تعتمد الأبيات حواراً حجاجياً، طرفا الحوار الوالد(الشاعر) والآخر(الولد)

زعمتَ بأنّي قد كَبِرْتُ وعِبتَني لم يمضِ لي في السنِّ سِتونَ كُمَّلُ

وسَمَّيتَني باسمِ المُفَنَّدِ رَأْيُهُ وفي رأيكَ التَفنيدُ لَوْ كُنتَ تَعْقِلُ[1]

[1] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 46,
الفند: الخرف وإنكار العقل من مرض أو هرم أو غيره.

نجد في هذه البيتين حضوراً لضمير المتكلم (أنا) وضمير المخاطب (أنت) ويبلغ هذا الحوار ذروته عندما يقول (زعمتَ) وكأن الحوار هنا تحوّل إلى جدل. والجدل في اللغة: الخصومة ومقابلة الحجة بالحجة.[1]

لكن الحجاج في البيتين السابقين أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلاً[2] فالشاعر يفنّد قول الآخر (الابن) ويبطله محاولاً إقناعه بصحة دعواه، والفعل (زعمت) يوحي بالشك، فالزعم قابل للتصديق والتكذيب وهو إلى الثاني أقرب.

في البيتين طاقة حجاجية عالية تتمثل في اعتداد الأب بسنه، فهو لم يبلغ الستين وهي سن نضوج العقل وكمال الحكمة والتصرف، وهذه السن بالنسبة للابن الجاهل تعني الكهولة حيث يعيبه بها وقد أكد الأب سنه الستين من أجل دحض مزاعم ابنه ثمّ يعقّب على ذلك بأنك اتهمت آرائي بالتفنيد لو كنت عاقلاً لعلمت بأنك صاحب الرأي المفنّد.

ونلاحظ أن الشاعر يلجأ إلى الحجاج بأدوات التوكيد (زعمت بأني، قد) ثم يتابع سرد حجته مستعملاً الرابط الحجاجي (الواو) والتي تعود أهميتها الحجاجية إلى جمعها الحجج[3] وهي إحدى حجج الاتصال التتابعي الذي يكون بين ظاهرة ما ونتائجها أو مسبباتها.[4]

إذ يصل إلى نتيجه (ابنه مغفل)

السبب: تسمية والده باسم المفند رأيه أي المائل إلى الصواب.

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة جدل.
[2] الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د.عبدالله صولة، دار الفارابي، بيروت، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، دار المعرفة للنشر، ط2، 2007، ص 17.
[3] ينظر بلاغة الإقناع في المناظرة، د.عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت، 2013، ص 100.
[4] الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص 332,

النتيجة: الابن لا يعقل شيئاً ولا يفقهه.

ثم يقول:

تُراقِبُ مني عَثرةً أَوْ تَنَالَها هَبِلتَ وهذا منكَ رأيٌ مضلَلُ[1]

يستخدم الشاعر في هذا البيت مفردات ذات طاقة حجاجية عالية (تراقب عثرة، مضلل) فالابن أساء الظن بوالده وراح يراقب هفواته وزلاته وكأنه يريد أن يثبت جنون عقله وخطل رأيه، إذ لو كان عاقلاً لسامح والده وإن هفا فكيف وهو لم يرتكب إثماً ولا هفوة.

مفردات فيها طاقة أخلاقية وتربوية عالية أوصلها أمية إلينا بأسهل الألفاظ وأقربها دلالة.

ثم يتابع سرد حجته مستعملاً الحجة السببية ذاتها بروابط السببية (إنك، واللام في لمغفّل) في قوله:

وإنّكَ إذ تُبقِي لجامي موائِلاً برأيكَ شابّاً مرةً لَمُغفَّلُ

وما صَولَةُ الحقِّ الضَئيلِ وحَظرُهُ إذا حَظَرتْ يوماً قساورُ بُزَّلُ[2]

يستشعر أمية هنا كمال رجولته وحكمته ونضجه ويعتدّ بكمال عقله أمام ابنه الجاهل (المغفل) مستخدماً مفردات حجاجية ذات طاقة عالية ويتابع حديثه مستنكراً فأين صولة الفصيل الهزيل (الابن) من الأسود الأقوياء (قساور بزل) الذي عركتهم الحياة وزادتهم قوة.

[1] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 46.
هبلت: ثكلت.
[2] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 46.
صال البعير على الإبل: واثبها وقاتلها، الحق: من أولاد الإبل الذي بلغ أن يَرْكب ويحمل عليه، البزل، مفردها بازل وهو البعير المسن.

وهنا تتم دائرة الإبداع فيشرك الشاعر المفردات الحجاجية الدالة على الحركة (صولة، حظرة، حظرت) وهي الحركة في شتى الاتجاهات مستخدماً تشبيهاً حجاجياً بليغاً يفضي إلى التأثير والإقناع من خلال ربط العقل بالإحساس النفسي فعمد إلى المقابلة (الحق الضئيل وقساور بزل) وكان يهدف من ورائها توضيح فكرته وإبرازها واستنكار تصرف ابنه وسلوكه.

تراهُ مُعِدَّاً للخلافِ كَأَنَّهُ بِرَدِّ على أَهْلِ الصَوابِ مُوَكَلُ[1]

يعتمد في هذا البيت **حجة الشخص وأعماله** لينتقد تصرفات ولده ويصف ما عليه من سوء، فذلك الولد كان محضّراً للخصام والخلاف وكأنه كلف بمهمة مجادلة أهل الرأي والحكمة على الرغم من جهله وقلة خبرته.

هو شخص عرف بأنه غير عاقل لا يفقه من الأمور شيئاً وبالتالي فالعمل الذي ينجم عنه هو دبّ الخلاف والنزاعات في المجالس التي كان يحضرها.

ثم نصل إلى البيت الأخير:

وَلكِنَّ مَنْ لا يلقَ أمراً يَنوبُهُ بِعُدَّتِهِ يَنْزل بِه وهو أَعزَلُ[2]

يختزل شاعرنا جميع حججه السابقة في هذا البيت ويصل إلى الحجة المقنعة المؤثرة باستعماله الرابط الحجاجي (لكنّ) وهي للاستدراك[3]

[1] ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 46.
[2] ديوان أميّة بن أبي الصلت، ص 46.
العدّة: ما تعدّه من مال وسلاح.
[3] ينظر في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمّال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، إيران، ج 1، ص 304-306.

والمتكلم بعد استعمال (لكنّ) "يقدّم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى وباعتبارها توجّه القول أو الخطاب برمّته"[1]

تعتمد القصيدة إذن **حجة السلطة** وهي من الحجج المؤسسة على بنية الواقع ويعرّفها ليتريه بأنها "القدرة على أن نطاع"[2]، ويعرّفها المعجم الفلسفي بأنها: القدرة والقوة على الشيء والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره[3].

ولها عنده معان متعددة؛ منها السلطة النفسية، ويعني بها قوة الشخصية والسلطة الشرعية كسلطة الحاكم والوالد والقائد، والسلطة الدينية كسلطة الوحي والرسل وغيرها.[4]

وعلينا أن ندرك أن مفهوم السلطة مفهوم يصنعه العقل الجمعي للمجتمع فمثلاً تختلف سلطات المجتمع الجاهلي في القبائل عن سلطات المجتمع الجاهلي نفسه في الحواضر، فكل مجتمع يصنع سلطاته من خلال مبادئه وقيمه وسماته الخاصة.

الأب هو الشاعر في الأبيات المدروسة يمثّل **سلطة اجتماعية** على الولد أن يخضع لها، وفي العصر الجاهلي أثمر هذا الخضوع إنتاج فن نثري قائم في ذاته وهو فن الوصايا الذي لم يكن ليُوجد لولا وجود سلطة الآباء على الأبناء.

[1] اللغة والحجاج، أبو بكر العَزّاوي، العمدة في الطبع، ط 1، 2006، ص 58.
[2] فلسفة التربية، أوليفي ريول، تر: د.جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1982، ص 40.
[3] المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د.ط، 1994، ج 1، ص 670.
[4] المرجع السابق، ج 1، ص 670.

نتائج البحث:

1-اعتمد أمية في القصيدة السابقة الحجاج آليةً تفضي إلى التأثير والإقناع من خلال حجة السلطة المسيطرة على الأبيات، سلطة الأبوة، فقد كان الأب هو السلطة العليا في النص يوجّه ولده (السلطة الأدنى) ويحاول أن يقوّم سلوكه معتمداً التوجيه والإرشاد والتحذير.

2-استعمل أمية أسلوباً بلاغياً في قصيدته تضمّن (علم المعاني والبديع والبيان).

3-راوح الشاعر بين الأساليب الخبرية لإفادة التقرير وإظهار حالته النفسية وما يعانيه من عقوق ابنه، والأساليب الإنشائية (كالطلب والأمر) كونه السلطة العليا وذلك لإثارة الذهن وتحريك المشاعر والأحاسيس.

4-وظف الشاعر الخيال من تشبيه واستعارة لتعديل سلوك ابنه وحضّه على إعادة التفكير في طريقة معاملته إياه ولعل ذلك هو غاية النص، وكانت الصور أقرب إلى المخاشنة (الحق الضئيل) منها إلى اللطف والرقة.

5-تميّزت ألفاظ القصيدة بسهولتها فلا تعقيد ولا غرابة وإنما مفردات فصيحة تمتاز بقدرتها الحجاجية العالية وتمثّل صراعاً بين جيلين، صراعاً تعاقبياً بين الآباء والأبناء.

6-تميزت القصيدة بصدقها الفني وتميزت بوحدتها العضوية بكل مقومات هذه الوحدة:

- وحدة الموضوع؛ فالأبيات الأربعة عشرة كلها شكوى من سلوك الابن العاق.
- وحدة الجو النفسي حيث تعمّ الأبيات مشاعر العتاب والشكوى.

المصادر والمراجع:

1-الأصمعيات، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي أبو سعيد، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف مصر، د.ط.

2-الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض، ط 1، 1415هـ.

3-البداية والنهاية، ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي، دار الفكر، 1986.

4-البرهان في وجوه البين، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، د.ط، د.ت.

5-بلاغة الإقناع في الناظرة، د.عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت، 2013.

6-البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

7-تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف مصر، دزط، د.ت.

8-تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوبتيه، تر: د.محمد صالح ناحي الغامدي، مركز انشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط 1، 2011.

9-الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ط، د.ت.

10-الحجاج في الشعر العربي-بنيته وأساليبه-، د.سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 2، 2011.

11-الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائص الأسلوبية، د.عبدالله صولة، دار الفارابي، بيروت، كلية الآداب والفنون الإنسانية، تونس، دار المعرفة للنشر، ط 2، 2007.

12-ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق: بشير يموت، المطبعة الوطنية، بيروت، ط 1، 1934.

13-شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي، لبنان، دار الكتب العلمية، ط 1، 2011.

14-ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط 6، 2002.

15-طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلا الجمحي، تح: محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، 1998.

16-فلسفة التربية، أوليفي ريول، تر: د.جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 2، 1982.

17-اللغة والحجاج، أبو بكر العزّاوي، العمدة في الطبع، ط 1، 2006.

18-مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا، د.عبدالله صولة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.

19-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمّال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، إيران، ط 1، د.ت.

20-المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط 6، 2012.

21-منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1986.

22-النقد الأدبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1997.

المعاجم والدوريات:

1-الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991.

2–تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تح: عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، مصر، د.ط، 1964.

3–العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح، د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم، إيران، 1405هـ.

4–لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط 2، 1992.

5–المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د.ط، 1994.

6–مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تح: عبد السلام هارون، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.

7–العتاب والشكوى في قصائد علي بن الجهم، حازم برهان مصطفى، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، العدد 111، 2015.